سورة البروج

مكية، وآياتها ٢٢

[نزلت بعد الشمس]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾

هي البروج الاثنا عشر، وهي قصور السماء على التشبيه. وقيل: ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾ النجوم التي هي منازل القمر. وقيل: عظام الكواكب. سميت بروجًا لظهورها. وقيل: أبواب السماء ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾ يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد: من يشهد فيه من الخلائق كلهم؛ وبالمشهود: ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما: إما ما ذكرته في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٤] كأنه قيل: وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود. وإما الإبهام في الوصف، كأنه قيل: وشاهد مشهود لا يكتنه وصفهما. وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما؛ فقيل: الشاهد والمشهود: محمد ﷺ، ويوم القيامة. وقيل: عيسى وأمّته. لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقيل: أمّة محمد، وسائر الأمم: وقيل: يوم التروية، ويوم عرفة، وقيل: يوم عرفة، ويوم الجمعة. وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادي: إني يوم جديد وإني على ما يعمل فيّ شهيد؛ فاغتنمني، فلو غابت شمس لم تدركني إلى يوم القيامة؛ وقيل: الحفظة وبنو آدم. وقيل: الأنبياء ومحمد ﷺ.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

فإن قلت: أين جواب القسم؟ قلت: محذوف يدل عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون، يعني: كفار قريش كما لعن أصحاب

الأخدود؛ وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتذكيرهم بما جرى على من تقدّمهم: من التعذيب على الإيمان. وإلحاق أنواع الأذى، وصبرهم/ ٢/ ٢٥٩أ وثباتهم، حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرّقين بالنار، ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود وقتل: دعاء عليهم، كقوله: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧] وقرئ: قتل، بالتشديد. والأخدود: الخدّ في الأرض وهو الشق، ونحوهما بناء ومعنى: الخق والأخقوق. ومنه فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان[1]. روي عن النبي ﷺ أنه قال: كان لبعض الملوك ساحر، فلما كبر ضمّ إليه غلامًا ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب: فسمع منه، فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس. فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان الراهب أحبّ إليك من الساحر فاقتلها فقتلها؛ وكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص، ويشفي من الأدواء، وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله فقال: من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي، فغضب فعذبه. فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب، فلم يرجع الراهب عن دينه، فقدّ بالمنشار وأبئ الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته، فدعا فرجف بالقوم، فطاحوا ونجا، فذهب به إلى قرقور[2] فلججوا به ليغرقوه، فدعا فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا ونجا، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهمًا من كنانتي وتقول: بسم الله ربّ الغلام، ثم ترميني به، فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات؛ فقال الناس: آمنا بربّ الغلام؛ فقيل للملك. نزل بك ما كنت تحذر؛ فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبيّ فتقاعست[3] أن تقع فيها، فقال الصبّي: يا أماه، اصبري فإنك على الحق؛ فاقتحمت. وقيل: قال لها: قعي ولا تنافقي. وقيل: قال لها: ما هي إلا غميضة فصبرت (١٧٣١). وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أنهم حين اختفلوا في أحكام

١٧٣١ ـ رواه مسلم في صحيحه (٩/ ٣٥٧) كتاب الزهد والرقاق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر الحديث (٣٠٠٥) والترمذي (٥/ ٤٣٧) كتاب التفسير باب ومن سورة البروج الحديث (٣٣٤٠). والنسائي في التفسير (٢/ ٥٠٩) رقم (٦٨١) وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٥٤) رقم (٨٧٣) وأحمد في المسند (٦/ ١٧، ١٨). وعبد الرزاق (٥/ ٤٢٠) رقم (٩٧٥١).

---

(١) قوله: «جرذان» في الصحاح «الجرذ»: ضرب من الفأر والجمع: الجرذان. (ع)

(٢) قوله: «قرقور» في الصحاح «القرقور»: السفينة الطويلة. (ع)

(٣) قوله: «فتقاعست» في الصحاح «تقاعس»: إذا تأخر عن الأمر ولم يتقدم. (ع)

المجوس قال: هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم، وكانت الخمر قد أحلت لهم، فتناولها بعض ملوكهم فسكر، فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج، فقالت له: المخرج أن تخطب الناس فتقول: يا أيها الناس، إنّ الله قد أحلّ نكاح الأخوات، ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول: إن الله حرّمه؛ فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له: ابسط فيهم السوط؛ فلم يقبلوا؛ فقالت له: ابسط فيهم السيف، فلم يقبلوا؛ فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها؛ فهم الذين أرادهم الله بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝﴾ (١٧٣٢) وقيل: وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام، فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير، فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا، فأحرق منهم اثني عشر ألفًا في الأخاديد. وقيل: سبعين ألفًا (١٧٣٣)؛ وذكر أنّ طول الأخدود: أربعون ذراعًا وعرضه اثنا عشر ذراعًا (١٧٣٤). وعن النبي ﷺ: أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوّذ من جهد البلاء (١٧٣٥) ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال من الأخدود ﴿ذَاتِ

= والطبراني في الكبير (٨/ ٤٨ ـ ٥٢) رقم (٧٣١٩، ٧٣٢٠)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٨٢) لإسحاق بن راهويه وأبي يعلى والبزار والبيهقي في الشعب قال الحافظ: أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وابن حبان والطبري والطبراني وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والبزار كلهم من رواية ابن أبي ليلى من طرق وأقربها إلى لفظ الكتاب سياق الطبري. تفرد به ثابت البناني عن عبد الرحمن. انتهى.

١٧٣٢ ـ أنظر الحديث السابق. وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وأبو يعلى. والطبري والطبراني. وأحمد وإسحاق والبزار كلهم من رواية عبد الرحمن بن حميد والطبري من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن عبد الرحمن بن أبزى قال «لما هزم المسلمون أهل الاسفيذبان انصرفوا فجاءهم يعني عمر رضي الله عنه. فاجتمعوا فقالوا: أي شيء يجري على المجوس من الأحكام؟ إنهم ليسوا أهل كتاب. وليسوا من مشركي العرب. فقال: هم أهل الكتاب». فذكره وسياق الطبري أتم منه انتهى.

١٧٣٣ ـ رواه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٧٢) في قصة أصحاب الأخدود.
حدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب فذكره مطولاً قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في السيرة. حدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب. فذكره مطولاً. انتهى.

١٧٣٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٨٥): «ونقله الثعلبي في تفسيره: عن محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه أن رجلاً كان على دين عيسى فوقع إلى نجران، فدعاهم فأجابوه، فسار إليهم ذو نواس اليهودي، فخيرهم بين اليهودية والنار فأبوا عليه، فخد الأخاديد فأحرق اثني عشر ألفًا.
وقال الكلبي: كان أصحاب الأخدود سبعين ألفًا، وهم نصارى نجران، وذلك أن ملكًا بنجران أخذ بها قومًا مؤمنين فخد لهم في الأرض سبعة أخاديد، طول كل أخدود أربعون ذراعًا، وعرضه اثنا عشر ذراعًا، ثم طرح فيها النفط والنار، ثم عرضهم عليها، فمن أبى قذفوه فيها، ومن رضي تركوه، إلى آخر القصة». ا.هـ.
قال الحافظ: نقله الثعلبي عن الكلبي. انتهى.

١٧٣٥ ـ رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٧٩) رقم (٣٤٣٣٣) حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن =

﴿ٱلْوَقُودِ﴾ وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس، وقرئ: الوقود، بالضم ﴿إِذْ﴾ ظرف لقتل، أي لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها. ومعنى ﴿عَلَيْهَا﴾ على ما يدنو منها من حافات الأخدود، كقوله [من الطويل]:

. . . . . وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ[1]

وكما تقول: مرت عليه، تريد: مستعليا لمكان يدنو منه، ومعنى شهادتهم على إحراق المؤمنين: أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودًا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنّ أحدًا منهم لم يفرّط فيما أمر به وفوّض إليه من التعذيب. ويجوز أن يراد: أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين، يؤدّون شهادتهم يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله [من الطويل]:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُيُوفَهُمْ[2] . . . . . .

قال ابن الرقيات: [المنسرح]

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلـ ـا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا[3]

وقرأ أبو حيوة: نقموا، بالكسر، والفصيح: هو الفتح. وذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد، وهو كونه عزيزًا غالبًا قادرًا يخشى عقابه حميدًا منعمًا. يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرًا، لأن ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغيّ، وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وعيد لهم، يعني أنه علم ما فعلوا، وهو مجازيهم عليه.

= قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ بالله من جهد البلاء.
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي أسامة، عن عوف عن الحسن بهذا.

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) لقيس الرقيات. ونقموا كرهوا: وحلم ـ كظرف ـ: صفح. يقول: إنهم جعلوا أحسن الأشياء وهو الحلم عند الغضب قبيحًا. ويجوز أن فاعل الفعلين ضمير بني أمية. ويجوز أن الأول لهم، والثاني: للناقمين. وفيه استتباع المدح بما يشبه الذم للمبالغة في المدح، حيث جعل الحلم عند الغضب ذمًا، مع أنه غاية في المدح. ويروى ما نقم الناس، وعليها فالصواب إسقاط «بنى» لأجل الوزن.
ينظر: ديوانه ص ٤، ولسان العرب (نقم)، وتهذيب اللغة ٩/ ٢٠٢، والبيان والتبيين ٣/ ٣٦١، وطبقات فحول الشعراء ص ٦٥٤، وتاج العروس (نقم)، وراجع المزيد من مصادر المثل في ديوانه ص ٤.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ / ٢/ ٢٥٩ب ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

ويجوز أن يريد بالذين فتنوا: أصحاب الأخدود خاصة، وبالذين آمنوا: المطروحين في الأخدود. ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم ﴿فَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ وهي نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق بإحراقهم المؤمنين. أو لهم عذاب جهنم في الآخرة، ولهم عذاب الحريق في الدنيا، لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم. ويجوز أن يريد: الذين فتنوا المؤمنين، أي: بلوهم بالأذى على العموم؛ والمؤمنين: المفتونين؛ وأن للفاتنين عذابين في الآخرة: لكفرهم، ولفتنتهم.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

البطش: الأخذ بالعنف؛ فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم: وهو بطشه بالجبابرة والظلمة، وأخذهم بالعذاب والانتقام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ أي يبدئ البطش ويعيده. يعني: يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة. أو دل باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه وأوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة وقرئ: يبدأ ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود: من إعطائهم ما أرادوا وقرئ: ذي العرش، صفة لربك وقرئ: المجيد، بالجر صفة للعرش. ومجد الله عظمته ومجد العرش: علوّه وعظمته ﴿فَعَّالٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف. وإنما قيل: فعال؛ لأنّ ما يريد ويفعل في غاية الكثرة[1].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله، كما في قوله: ﴿مِن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس: ٨٣]، والمعنى: قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم

---

(١) قال محمود: «إنما يقال فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة» قال أحمد: ما قدر الله حق قدره، هلا قال: إنه لا فاعل إلا هو، وهل المخالف لذلك إلا مشرك، وكم أراد الله تعالى على معتقد القدرية من فعل فلم يفعله، وهب أنا طرحنا النظر في مقتضى مبالغة الصيغة، أليس قد دل بقوله: (لما يريد) على عموم فعله في جميع مراده، فما رده إلى الخصوص إلا نكوص عن النصوص.

لتكذيبهم ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ أي: تكذيب واستيجاب للعذاب، والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه. والإحاطة بهم من ورائهم: مثل لأنهم لا يفوتونه، كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به. ومعنى الإضراب: أن أمرهم أعجب من أمر أولئك؛ لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم، ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا، وكذبوا أشد من تكذيبهم ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي بل هذا الذي كذبوا به ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه. وقرئ قرآن مجيد، بالإضافة، أي: قرآن ربّ مجيد. وقرأ يحيى بن يعمر: في لوح، واللوح: الهواء[1]، يعني: اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح ﴿مَّحْفُوظٍ﴾ من وصول الشياطين إليه وقرئ: محفوظ، بالرفع صفة للقرآن.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات» (١٧٣٦).

١٧٣٦ ـ تقدم برقم (٣٤٦) قال الحافظ: أخرجه الواحدي والثعلبي وابن مردويه بإسنادهم عن أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) قوله: «واللوح الهواء» في الصحاح «اللوح» بالضم: الهواء بين السماء والأرض. (ع)